نهضة علماء دمشق

قراءة ومقابلة

إعداد:

أ.د. محمد الحسن البغا

كلية الشريعة - جامعة دمشق (سوريا)

malhsnb@gmil.com

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، وبعد:

إن دين الإسلام قد انتشر بحسن الأخلاق والعلم والمعاملة، وكان رائد ذلك حملة القلوب والأرواح والمهج والحب والعشق الإلهي المحمدي صلوات ربي وسلامه على حبيب الخلق أجمعين، وحمل ذلك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، صنعة الله تعالى وتربية رسول الله ﷺ، وكذلك حمل هذا الدين الكامل المكمل في كل زمان أولياؤه وعدوله وفرسانه، من الربانيين المخلِصين المخلَصين، ليبلغ الإسلام الأرض كلها، وإن وعد الله تعالى قد تحقق بظهور دين الله تعالى على غيره من المحرفين المغضوب عليهم والضالين وغيرهم، وبقي المسلمون بتاريخهم الناصع حجة بالغة داحضة، إذ يعيش في عقر دور المسلمين بأحياء معتبرة غير المسلمين، وأعدُّ ذلك من الآثار التي ينبغي المحافظة عليها، لأنها شواهد حية واقعية على إنصاف المسلمين وتعايشهم مع غيرهم، فلا تكاد تجد مدينة من حواضر الإسلام إلا وتجد فيها غير المسلمين من سكانها الأصليين، مع أن هذه الحواضر والعواصم كانت و ما تزال قلاعاً للمسلمين، ويحمون غير المسلمين الذين يعيشون معهم، مما لا نجده في مدن وعواصم الآخرين، فلا تجد في أكثر مدن غير المسلمين سكاناً أصليين مخالفين في دينهم لبقية الساكنين، لما جرى ويجري من تطهير عرقي، هذا إن جاز هذا المسمى التخريفي، وتجد المسلمين بأخلاقهم قد دافعوا عن مخالفيهم، فكان اليهود يهربون إليهم، وغيرهم ممن يبحثون عن ملاذات آمنة عبر التاريخ الإسلامي، ولذلك نجد مثل هؤلاء في الكثير من المدن الإسلامية في الكرة الأرضية، حيث تجد المخالفين لدين المسلمين يعيشون في مدن واحدة...

وقد شئت في بحثي هذا أن ألخص سيرة الأعلام الثلاثة: المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسني وتلميذيه الشيخ حسن حبنكة والشيخ صالح الفرفور، وأتكلم عن جهودهم في بلاد الشام كنموذج رئيسي كان له دور الريادة والتوجيه والسلطة العلمية السابغة المسيطرة على الساحة العلمية والأخلاقية والدعوية، من خلال قراءتي لكتاب عن كل واحد منهم، ولقائي وسماعي للكثير من شيخ المجاهدين الشيخ حسن حبنكة رحمهم الله تعالى جميعاً .

وكان العلامة محدث البلاد الشامية المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسني علامة الزمان مجدد القرن الرابع عشر الهجري صاحب الأيادي الواسعة والماثلة والماتعة والمؤثرة في ربوع بلاد الشام، ليبثها العلوم التي أكرمه الله تعالى بها من خلال توفيقات الله تعالى له، ولينشر هذه العلوم في ربوع بلاد الشام وليخرّج علماء وطلاباً كثيرين كانوا راسخين في العلم مرسخين مؤسسين لمعاهد عديدة وكثيرة في ربوع العالم الإسلامي، وكان من هذه المدارس أو من هؤلاء العلماء العالمان الجليلان هما الشيخ حسن حبنكة الميداني والشيخ صالح الفرفور أو الفرفوري وكان لمعاهد هذين الشيخين الفضل العميم والواسع في نهضة بلاد الشام والعالم الإسلامي إذ انتشر طلاب هاتين المدرستين وتأليفاتهم وتحقيقاتهم في العالم الإسلامي كله، ولا أستطيع في هذه العجالة أن أعرض تفصيلاً لما كان، ولكنني سوف أذكر الخصال الرئيسة والأوصاف التي مكنت هاتين المدرستين، ورسخت جذورهم العميقة في مجتمعات بلاد الشام وجامعاته ومعاهده ومدارسه، وليتلقف ذلك أهل العلم من العلوم الشرعية والعلوم العقلية والكونية والتطبيقية، وليكونوا علماء في كل الاختصاصات يدرجون من خلال هذه المعاهد، وسأعرض بحثي هذا من خلال التعريف بحياتهم الشخصية وسيرتهم وتلاميذهم وأعمالهم وجهادهم ودورهم الاجتماعي

العلمي لأعرج بعد ذلك على بعض القصص التي فيها الكثير من العبر والعظات البالغات المؤثرات الدالات على تمكين الله تعالى لهؤلاء الربانيين ليبقى هذا الدين وأهله وعلماؤه يبثون مشاعل النور والهدى والعافية والسعادة والسرور في أصقاع الأرض، والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: العلامة المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسني

يعد الجامع الأموي جامعة العلم والعلماء والدعاة والمجاهدين، إذ بزغت شمس العلم في عالم المسلمين في هذا القرن الرابع عشر الهجري بالعالم المحدث الأكبر الوارث المحمدي مجدد القرن الرابع عشر الهجري محمد بدر الدين الحسني، والذي أُريد جعله خليفة للمسلمين عند نهاية الدولة العثمانية، فأبى ذلك ولم يرده، وكان صائم الدهر قائم الليل سبعين سنة، ورأس العلم والجهاد والدعوة.

يبث تلامذته وطلابه في عموم بلاد المسلمين، معلمين دعاة ومجاهدين ومفكرين، والذين كانوا كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فكانوا صقور الرجال سبقوا عصرهم وكانوا ملء السمع والبصر، ومن المعلوم أن الأمم تقاس بعظمائها ورجالها وعلومها وأبطالها وحكمائها وحضارتها، وكان العلامة البدر جامعاً لكل هذه الأوصاف.

حياة العلامة البدر وشخصيته العلمية ورحلته:

توفي والد البدر وهو صغير فأقبل على العلم حفظاً ودراسة، فحفظ المتون وأتقنها، مبتدئاً بحفظ القرآن العظيم، فمتون العلم في اللغة وعلومها من نحو وصرف وبلاغة، إلى علوم المنطق والعقل

والعقائد ومصطلح الحديث والفقه وأصول الفقه.

يقول شيخه أبو الخير الخطيب عنه:" هذا الغلام ابن الشيخ يوسف المغربي، عمره اثنا عشر عاماً، حفظ من متون العلم اثني عشر ألف بيت، وقد أدهشني بذكائه وتقواه".

ثم توجه العلامة البدر إلى دراسة شروح هذه المتون، فشهد علماء وعصره بنبوغه، وأذنوا له بالتدريس في الجامع الأموي، ولما يبلغ الثامنة عشر من عمره، وهو لا يفتر عن المطالعة والدأب، آناء الليل وأطراف النهار مع التوفيقات الإلهية المشهودة له، فحفظ الكتب الستة بأسانيدها المتصلة إلى شيوخه، وطالع شروحها، فبهر العقول وعطلت الدروس، فامتلأت قلوب الحساد جفاء وعداوة من الأقران والكسالى، فأحس البدر بألم نفوس الحساد، ومسه حرها وأذاها، فاعتزل الدرس والناس في غرفته بدار الحديث سبعة عشر عاماً، مكباً على الدراسة والحفظ والمطالعة والتنقيب والبحث في الكتب وذخائرها، وخاصة كتب الحديث وعلومه وشروحه، فما رؤي بعد ذلك إلا قليلاً، حتى أنه كان يصلي الجمعة بغرفته الملاصقة للمسجد، فنبغ نبوغاً عظيماً مشهوداً وصار فيها الحجة البالغة مقصوداً من بلاد العالم الإسلامي كله.

ارتحل إلى حمص هرباً من الحساد وتحصيلاً للعلم وانكباباً عليه، ولما جاوز الثلاثين بدأ بالإقراء العام عن ظهر قلب لكل ما تعلمه دون كتاب يقرأ منه، بل وبرع في الطب والرياضيات والفلسفة والحكمة فكثر عليه الناس والطلبة من كل حدب وصوب.

كسب العلامة البدر:

لزمه رجل من كبار موظفي الدولة العثمانية فأحبه وأخلص له، وذكر في الآستانة مكانة البدر العلمية، فعينت له الخلافة العثمانية راتبا مقداره عشر ليرات ذهبية، فتباعد عن أخذها فزعاً، وهو في أشد الحاجة لها، فأخذها أخوه أحمد ليتولى مصروفاته ومصروف بيته.

سيرته العلمية ودروسه وأخلاقه:

وكان يحضر درسه في الجامع الأموي الوالي وأعيان العلماء والوجهاء والعامة، آخذاً بعقول السامعين وقلوبهم بفصاحته وبلاغته ودقيق عبارته وعمقها.

وكان يقرب الشباب وخاصة النافرين من الدين، لجمود بعض أهل العلم، مبعداً لهم عن الإلحاد والجمود، سالكاً مسلك نشر الألفة بالحكمة وفتح القلوب بالكلمة الطيبة، لتألفه النفوس الجامحة والعقول التائهة فتصبح والهة به عاشقة له، وليتوب شباب الأمة على يديه، وليكونوا نبراساً للشباب ودعاة للأمة في كل أصقاع البلاد والعباد.

كان البدر متواضعاً فيطلب من هذا الشاب أو ذاك أن يؤمه في الصلاة ويرفض مخاطبته بالألفاظ المتحققة فيه: من المحدث الأكبر ومولانا وسيدنا...

وكان حاضر الذهن والبديهة يذكر مسائل الكتاب وتعليقاته عليها ومواضعها مهما تمادت الأزمنة، شديد الورع دون تزمت أو تشدد، ولا يشتري شيئاً بنفسه خشية أن يحابيه الباعة لأجل ما يحترمونه ويجلونه.

كان حريصاً على السنة في كل أموره وشؤونه، ومع كثرة ورعه واستقامته يطلب قائلاً من تلامذته:" لا تنسوا أن من نجا منكم لا يتخلى عني يوم القيامة".

وكان مخالفوه يحترمونه فكان أن مر به خوري، فقبل يد الشيخ، فتبسم في وجهه، وطلب منه الدعاء، فقبل الخوري يده ثانية، فاعترض أحد تلامذته أنه طلب الدعاء منه، فقال العلامة البدر: معاذ الله أن أخالف القرآن العظيم (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (الرعد: 14) فعلم أن الشيخ يعلم بنور قلبه ما لا يعلمه غيره.

وكان يأبى أن يكون في مجلسه غيبة مطلقاً، وكان يقول:" ألا تسمعون النبي ﷺ حينما تقولون: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" ثم يقول:" لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

وكان يقول عن نفسه للعامة:" أنا وأنت من العوام ومذهبنا مذهب مفتينا" وكان عامة الناس من كل أديانهم يحبونه ويعظمونه ويؤانسهم.

فيزور عامة الناس ويلاطفهم فقال مرة لتلامذته وهم يشربون الشاي: ما هذا؟ وهو يعلمه. فقالوا: شاي. فقال: ولم تشربونه؟ قالوا: يهضم الطعام. فقال ضاحكاً: لا تكثروا من الطعام فلا تحتاجونه.

ومن عادته: زيارة المساجين في يومي العيدين، فيدعوهم ويدخل عليهم السرور، ويزرع في قلوبهم حب التوبة والإنابة، ويؤكد لهم سعة الرجاء والعفو من الله تعالى، ويصبرهم، ثم يطلب منهم الدعاء مع إعطائهم الحلوى و السكاكر والطعام، وليعطيهم المصاحف والكتب ليقرؤوا فيها.

وكان يشفع عند ذوي السلطان لعامة الناس إدخالاً للسرور على قلوبهم، مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ:" الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله" فكان يشفع حتى لأهل الذمة، ولو عند المحتلين الغاصبين الفرنسيين، فكانوا يقبلون شفاعته، ويطلقون سراح هؤلاء المسجونين المظلومين.

فمرة كان هناك فار من الجندية، وكان حكم الفار من الجندية أن يعدم، فشفعت له ذمية بأن ولدها سيعدم غداً صباحاً، فجاءته وهي تبكي بكاءً مراً، فخرج لتوه مستشفعاً لولدها، فطلب من الوالي تأخير الإعدام، لأنه لا يستطيع أن لا يفعله، فأرسل الوالي إلى الباب العالي، فكان الجواب أن يسقط هذا الإعدام عن كل فار من الجندية وليس عن هذا فقط.

وقد شفعه بعضهم لإسقاط الضريبة، فشفع لهم قائلاً:" كيف يكون هناك ضريبة إذا لم يكن هناك مال".

وكان العلماء يجلونه ويعظمونه، وكان يجلهم ويعظمهم ويكرمهم ويضيفهم ويحسن استقبالهم.

دعاه السلطان عبد الحميد ليجتمع به لما علمه عنه فاعتذر قائلاً: يابا ما في إذن... ثم دعاه خطيب قرية الهامة فذهب إليه، وهو صائم، فقدم له الشاي من إبريق في جانبه، فشرب ولم يتم صومه، وهو لا يشرب الشاي عادة، فتعجب الناس، فقال: إني أعرف أن هذا العمل فيه جبر خاطر خطيب الهامة وأهلها.

إغلاقه للمحل العمومي:

فمما يحكى عنه قصة بديعة نادرة، وذلك أنه كان يوجد مكان مرخص للدعارة، اسمه: المحل العمومي، فأراد أن يغلقه بأسلوب ذكي دعوي، فأرسل أحد تلاميذه الخلّص ممن بلغ الستين أو زاد من العمر، فأعطاه صرراً من المال، في كل صرة ليرة ذهبية، قائلاً له: أعطِ كل فتاة صرة، وقل لها: إن الشيخ بدر الدين يعطيك هذه الهدية، ويطلب منك التوبة إلى الله تعالى، كما يطلب منك الدعاء له، فقلن لبعضهن الآخر: الشيخ بدر الدين بجلالة قدره يطلب منا الدعاء، فصرن يبكين لذلك، ثم تبن إلى الله تعالى، وحسُن حالهم، وصرن وعدن عفيفات طاهرات، وتزوجن وصار لهن أسر معتبرات، وأغلق المحل العمومي.

جهاده ضد الفرنسيين:

للبدر المحدث أفضال كثيرة على عامة البلاد، فهو في الحقيقة قائد الثورة الشعبية ضد الفرنسيين، لإخراجهم من البلاد، فقد طاف في طول البلاد وعرضها يحضهم على إشعال الثورة، فاشتعلت الثورة ضد الفرنسيين، وعرف المندوب الفرنسي ذلك، فجاء إلى دار الحديث، فطلب منه تهدئة الأوضاع، فجعله ينتظر نصف ساعة في غرفة فارغة مغلقة، ثم قال له: "لا تهدأ هذه الثورة إلا بخروجكم" وأنهى كلامه، ولم يسمح له بأن يتكلم معه، وأنهى مقابلته، وخرج من الغرفة.

إخراج الفرنسيين من مسجد اتخذوه اصطبلاً:

وقد كان الفرنسيون قد حولوا أحد المساجد الكبيرة في مركز دمشق، وهو مسجد دنكز إلى اصطبل، فلما علم الشيخ بدر الدين بذلك، ذهب بنفسه دونما سلاح إلى المسجد، وطلب من الضابط المسؤول تفريغ المسجد

ليقيم فيه الصلاة، قائلاً له: نريد أن نصلي الأوقات القادمة في المسجد، وأريد تفريغ المسجد مما وضعتم فيه، فكان له ما أراد ولم يخشَ عواقب طلبه ذلك، بل خافه الفرنسيون إن خالفوا أمره، وأفرغوا المسجد للصلاة راغمين.

تلاميذه:

كان من أجل تلامذة الشيخ البدر عالمان فاضلان هما الشيخ العلامة المجاهد حسن حبنكة، والعلامة المجاهد صالح الفرفور، وهما من أهم رائدي النهضة في سوريا الحبيبة:

المبحث الثاني: الشيخ حسن حبنكة الشهير بالميداني

ولادته ووفاته ونشأته:

ولد في حي الميدان عام 1326 للهجرة الموافق لعام 1908للميلاد وتوفي الاثنين الرابع عشر من ذي القعدة 1398هـ الموافق للخامس من الشهر العاشر لعام 1978.. شيّعته الملايين، فكانت جنازته أولها في جامع الحسن بحي الميدان حيث دفن في الميدان في مكان لا يعد من المسجد، وآخرها في المسجد الأموي حيث صلي عليه.

شخصيته العلمية وعلاقاته:

كان الشيخ حسن متوقد الذكاء، طموحاً مجداً في العلم أنفاً حراً مجاهداً، يسهر لطلب العلم مصلياً في جوف الليل، جل أوقاته مشغولة بالتعلم والتعليم.

وقد كان كأنه جبل يمشي على الأرض بهيبة ووقار وثقة بالله عز وجل، وكأن نور النبوة وسمتها وجلالها وجمالها يسطع عليه من النبي ﷺ ليكون وارثاً محمدياً، مع نفس أبية ورأي ثاقب واطلاع واسع وروح وقادة جميلة لطيفة مع الصغير والكبير ليحبه الجميع وليكون قدوه للجميع رحمه الله تعالى.

اتصل بعلماء عصره وأخذ عنهم كالعلامة المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسني، وأمين سويد، وأحمد العطار، وعبد القادر الإسكندراني، وسعيد البدليس، وعطا الكسم آخذاً العلوم العقلية والنقلية واللغوية، فكان ماهراً في الأدب والإنشاء.

منهجه التعليمي والدعوي:

بزغت النهضة العلمية في دمشق على يد الشيخ علي الدقر تلميذ المحدث الأكبر بدر الدين الحسني وقد ألم بالبلاد قحط شديد فأرادت هذه النهضة تخريج الخطباء والوعاظ والعلماء مع تكفلها تعليم الطلاب ومؤونتهم لتؤسس مدارس عدة لإنقاذ أبناء المسلمين من التغريب الفرنسي فكان للشيخ حسن حبنكة إدارة مدرسة سعادة الأبناء ومدرسة وقاية الأبناء وكان من تلامذته كبار العلماء في بلاد الشام بل وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي فيحرص على التربية الأخلاقية السلوكية في التربية والتعليم والتوجيه والدعوة إلى الله تعالى ليغرس المفاهيم الإسلامية وليمتدح من لزم الصالحات مع حبه للضعفاء والمساكين.

وكان المنهج التعليمي يعتمد أن يستمع الطالب للرعيل الأول درساً ثم يخرج ليعلمه للرعيل الثاني وليعود إلى الدرس الثاني ليستمعه ثم ليعلمه لغيره وهكذا ليكون قد استوي على الجودي في هذا العلم فكان من طلابه الكثيرون من العلماء الذين كانوا رائدي النهضة العلمية في بلاد الشام وأذكر منهم: الشيخ حسين خطاب شيخ قراء الشام، والشيخ كريم راجح، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والدكتور مصطفى الخن، والشيخ مصطفى التركماني، والشيخ علي الشربجي حفظه الله تعالى وأطال عمره، ووالدي حفظه الله تعالى وأطال عمره الدكتور مصطفى البغا، والعبد الفقير الذي يتحدث ويكتب هذه الكلمات؛ فكنت ممن حضر دروسه في نعومة أظفاري بصحبة والدي إلى أن توفاه الله عز وجل.

وكان قد خصص التدريس الليلي بعد صلاة العشاء لطلاب العلم من الصناع والعمال وأهل الحرف والمهن ولكل من لا يجد فراغاً في النهار ليتعلم ليكون من طلاب العلم بل والعلماء فربما برع منهم من برع وصار من العلماء.

منهجه الدعوي:

كان يرسل طلبته لإلقاء الدروس في المساجد حوله، وهكذا إلى ما حولها، وبالأفواج المتلاحقة المرسلة لإلقاء الدروس عمت النهضة العلمية والدعوية في بلاد الشام، وكان يتخلل ذلك كله مباسطات ومداعبات وطعام وضيفان ونكات وألعاب.

ومن قصص الشيخ حسن حبنكة في المجتمع والدعوة، أنه كان له تلميذ صار من المشهورين بعدُ، وهو الشيخ مصطفى الخن، ، وهو مما سمعته من الدكتور الشيخ مصطفى الخن نفسه، وهو أستاذي في العربية وآدابها، أنه لما كان طفلاً صغيراً في معهد التوجيه الإسلامي كان مريضاً، ضعيف البنية، فأخذه إلى الطبيب، وكان الطبيب كامل شاشيط، فقال الطبيب: هذا الفتى يحتاج نصف كيلو من اللحم أن يوضع على بطنه لتعود إليه عافيته، فقال الشيخ حسن للطبيب: ألا يمكن أن نجعل ذلك داخل بطنه يتقوى به، فقال الطبيب: بل هو ذلك المطلوب، وكان ذلك، وصار علامة في البلاد، من تلاميذه: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ووالدي الفاضل العلامة الدكتور مصطفى البغا أطال الله في عمره.

ومن قصص الشيخ في تعامله مع تلامذته: أنه كانت زوجته أم عبد الرحمن تقوم هي بخياطة الملابس لأجل العيد لخلص تلامذته، فخاطت في عيد من الأعياد جبباً يلبسها هؤلاء في العيد، وقد اشترى الشيخ حسن القماش لهؤلاء التلاميذ، وهكذا جمعهم وألبسهم هذه الجبب، ووضع لهم العمائم، فكان هؤلاء علماء المستقبل، وأذكر منهم: الشيخ حسين خطاب والشيخ مصطفى الخن والشيخ مصطفى التركماني والشيخ محمد الفرا وغيرهم...وهذا مما سمعته شخصياً من فم الشيخ حسن.

ومن القصص المشهورة في تعامل الشيخ حسن حبنكة مع العامة، التي تدل على أخلاق الشيخ حسن ودعوته، أنه كان يمشي في رمضان قبيل الإفطار ذاهباً إلى بيته، فرآه فقير مسكين، فرجاه أن يفطر عنده، فذهب إليه، فإذا بيته في الطابق الأخير من البناء على سطح ذلك البناء، وفيه غرفة مع مشرقة، يصعد إليها بسلّمٍ خشبي متهالك يُخشى سقوطه، فصعد إلى بيته وتكاد الدرجات تتكسر تحت قدميه إلى أن وصل إلى البيت ثم جلس صاحب البيت هذا المسكين يشرح ويوضح للشيخ فضل الله تعالى عليه، وما أكرمه الله تعالى بهذا البيت من لحظه واستمتاعه بأشعة الشمس في الصباح والمساء، ثم سمع هذا المسكين وهو يحدث زوجته عما يقدمون للشيخ، فقالت زوجته: لا يوجد لدينا إلا قليل من الفول، ولكنه يحتاج إلى تجهيز وما يلزم له، وسمع الشيخ حسن ذلك، فجاء المسكين إلى الشيخ، فقال الشيخ حسن: أحب أن أفطر على التمر وهو معي، وأن يكون ذلك بعد نصف ساعة، ولا أحب أن يكون ذلك عقب الأذان، وهذا مما سمعته شخصياً تناقلاً وليس من الشيخ مباشرة.

خطاباته و اتصاله الجماهيري:

وكان الشيخ حسن يعتني بكل ما له تأثير في الخطابة والدروس العامة، واتخذ غرفة في مسجد منجك مخصصة للعلم ومصالح المسجد، كإلقاء الدروس وإفتاء الناس وحل الخصومات والاستشارة والزيارة، وربما أتاه الذواقون للشاي الأخضر أو الأحمر أو النعناع ليستعذبوا بعد ذلك حضور دروس العلم، وليكونوا طلاب علم، فربما انجذب بعض الناس بطعام إفطار... وما أشبه، فكان الشيخ بارعاً بذلك، فمفاتيح البطون ربما تكون مفاتيح الآذان والعقول والقلوب، وبعض اللذات المباحات لاجتذاب طلاب العلم ليكونوا علماء المستقبل.

وكان الشيخ مرزوق (والد الشيخ حسن) مع الطلاب يبني الغرف اللازمة للطلبة ليكون ذلك معهداً شرعياً متخصصاً لتخريج العلماء والخطباء والمدرسين.

جهاده ضد الفرنسيين:

شارك في الثورة على الفرنسيين في عام 1925، فكان يهاجم الدبابات الفرنسية غير هياب منها، وكان له بطولات كثيرة، وأذكر مما سمعته منه شخصياً، أنهم كانوا عائدين من جنوب دمشق من معركة من معارك درعا، فلقيهم قناص لايحددون مكانه، فقنص واحداً منهم، فأناموا خيولهم في الحقول، فاتفق مع كبير المجاهدين الشيخ محمد الأشمر أن يقفزا بخيلهما ليطلق عليهما القناص، فيحدد مكانه الآخرون، فقفزا فحدده المجاهدون، وأردوه، ثم فتشا أنفسهما، هل أصيبا؟ فقال أحدهما للآخر: لقد أحسست بلكزات، وجآت، فهل أحسست بذلك؟ فنظرا في ثيابهما هل من إصابة؟ فتناثرت الرصاصات من ثيابهما دون إصابتهما، بحفظ الله تعالى لهما .

المبحث الثالث: الشيخ محمد صالح الفرفوري

وكان من تلاميذ سيدي البدر المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسني الشيخ محمد صالح الفرفوري المولود سنه 1318 هـ الموافق لعام 1901م وتوفي سنة 1407 هـ الموافق لسنة 1986. ولد الشيخ في عصر ويلات الحرب العالمية الأولى والاحتلال الفرنسي لبلدنا سوريا الحبيبة، ولكنه كان عصر ازدهار للعلم وأهله، من مئات حلقات العلم في مساجد دمشق، والتي كان رائدها العلامة المحدث بدر الدين الحسني وقد توفي والده (والد الشيخ صالح) مبكراً ليضطر هذا الابن للعمل نجاراً، وليبرع في ذلك، ثم تزوج ورزق بأولاد أوقفهم للعلم والدعوة إلى الله تعالى، وكان يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها، متواضعاً عزيز النفس يصدع بكلمات الحق، لين الجانب كثير الإحسان والتودد للناس، يحنو عليهم ويهش لهم، كريم النفس سخي اليد شديد الوفاء لجيرانه، وخاصة أبناء شيوخه، أسس جمعية الفتح الإسلامي وأدارها ثلاثين سنة حتى توفي وما أخذ قرشاً منها، نزيهاً عفيفاً رقيقاً مكثراً من العبادة والذكر وتلاوة القرآن، مع اهتمام بالغ بشؤون المسلمين، قاتل وجاهد ضد الفرنسيين، ممارساً للفروسية والرماية والسباحة والمصارعة والصيد، لاعب سيف وترس، ينازل خصمين في ذلك فيحط قاعداً القرفصاء ليقفز في الهواء، كقتال أهل القوقاز بالسيف والترس.

لزم شيوخ عصره فله أسانيد كثيرة، وكان يلزم نفسه بالمطالعة اليومية، لينجز من ذلك الكثير والكم الهائل من الكتب.

أسس معهد الفتح الإسلامي عام 1375 للهجرة الموافق لعام 1956 للميلاد، واحداً للذكور وآخر للإناث، وما يزال معهده قائماً، وليحوله ولده الدكتور حسام إلى جامعة بلاد الشام.

ربى تلاميذه بحاله وقاله مخلصاً رؤوفاً رحيماً حازماً من أقواله: الحب الحقيقي هو محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، فإن أحبهما العبد هان عليه كل شيء ووصل من طريق الحب ما لم يصل إليه من طريق العبادة.

وكان يقول: العلم ذل ساعة وعز إلى قيام الساعة.

قال عنه الشيخ كريم راجح شيخ قراء الشام: كان الشيخ صالح عالماً، وكان منه الخير الكثير، والعلم الكثير، والطلاب الكثيرون، رحمنا الله تعالى، وبارك الله تعالى في طلابه وأبنائه، وجعل الخير في عمله مستمراً إلى يوم القيامة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

بعد ان تكلمت عن هؤلاء الأعلام الثلاثة، قراءة ومقابلة وشفاهاً، فالواقع أنني مهما تكلمت عن هؤلاء فلا أستطيع أن أشير إشارة لحقوقهم وسيرهم الماتعة البالغة بل الحجة البالغة على طلاب العلم وأهله، إذ إنني تكلمت عن هؤلاء فإنني تكلمت عنهم عيشاً ومتابعة، وحساً ورؤيا عين ورؤيا قلب، ولو كنت أدركتهم صغيراً، وكم أركبني الشيخ حسن بنفسه على خيل له، مما يدل على شخصه وتفكيره وعنايته، وكم سمعت منه مراراً: من هم أعداء المسلمين من الصهاينة والصليبيين، فيبقون جميعاً حاضرين في عقلي وفي روحي وفي كل مداركي ومشاعري، وبهذا أبلغ في خاتمة هذا البحث إلى ما يلي:

1 - الصبر والأناة والحرص على العلم هما أو هي رائد توفيقات هؤلاء الأساطين في العلم والدعوة والجهاد.

2 - الحرص من هؤلاء الأساطين على الحال والقال أو بالقال دون الحال.

3 - الاهتمام بالعلوم العقلية و النقلية بتوازن مثالي كما أمر به الشرع.

4 - حسن التواصل مع أبناء المجتمع بكل طبقاته وأصنافه بل وبكل طوائفه.

5 - اعتماد هؤلاء الأساطين من أهل العلم والمعرفة والحال والحقيقة على الأخلاق الإسلامية والمعاملة الحسنة الحقة، ونشروا ذلك من خلال المال والوقت، وجبر الخواطر وحل الخصومات وفصل النزاعات مما قد يقصر فيه المختص.

6 - من اللازم على أهل العلم أن يكون لهم جلسات ودروس يتبسطون فيها وينزلون فيها إلى الواقع، وإلى عامة الناس، ليكونوا أقرب إلى قلوب الناس وإلى واقعهم معالجة وعيشاُ، ولله الأمر من قبل ومن بعد...

وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين .

المصادر:

1 - المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد السيد الشريف الشيخ محمد بدر الدين الحسني المتوفى 1354هـ 1935م كما عرفته، بقلم: الأستاذ الشيخ محمد صالح الفرفور، دار الفرفور، الطبعة الأولى 1421 هـ2001م.

2 - الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع، تأليف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني نشر المؤلف الطبعة الأولى1432هـ.2003م.

3 - العلامة المربي الشيخ محمد صالح الفرفوري حياته ونهضته وآثاره، تأليف: عمر بن الشيخ موفق النشوقاتي، دار الفرفور، الطبعة الأولى 1421هـ 2000م.

4 - السماع والحضور لدروس الشيخ حسن حبنكة وتلامذته، ومشاهدة الشيخ العلامة صالح الفرفور وسماع تلامذته وأولاده حفظهم المولى عز وجل.